

تفسير ابن كثير

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

قرأ بعض القراء : ملك يوم الدين وقرأ آخرون : مالك . وكلاهما صحيح متواتر في السبع .]

ويقال : ملك أيضا ، وأشبع نافع كسرة الكاف فقراً : ملكي يوم الدين وقد رجع كلا من

القراءتين مرجحون من حيث المعنى ، وكلاهما صحيحة حسنة ، ورجح الزمخشري "

ملك " ؛ لأنها قراءة أهل الحرمين ولقوله : (لمن الملك اليوم وقوله : (قوله الحق وله

الملك وحكي عن أبي حنيفة أنه قرأ ملك يوم الدين على أنه فعل وفاعل ومفعول ، وهذا

شاذ غريب جدا] . وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئاً غريباً حيث قال : حدثنا

أبو عبد الرحمن الأذرمي ، حدثنا عبد الوهاب عن عدي بن الفضل ، عن أبي المطرف ،

عن ابن شهاب : أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان

ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرءون : (مالك يوم الدين وأول من أحدث ملك مروان

. قلت : مروان عنده علم بصحة ما قرأه ، لم يطلع عليه ابن شهاب ، والله أعلم . وقد روي

من طرق متعددة أوردها ابن مردويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها : (

مالك يوم الدين ومالك مأخوذ من الملك ، كما قال : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها
وإلينا يرجعون) [مريم : 40] وقال : (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) [الناس : 1
، 2] ومالك : مأخوذ من الملك كما قال تعالى : (لمن الملك اليوم الله الواحد القهار) [
غافر : 16] وقال : (قوله الحق وله الملك) [الأنعام : 73] وقال : (الملك يومئذ الحق
للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) [الفرقان : 26] . وتخصيص الملك بيوم الدين
لا ينفيه عما عداه ، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة
، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئا ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ،
كما قال : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال
صوابا) [النبأ : 38] وقال تعالى : (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) [
طه : 108] ، وقال : (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) [هود :
105] . وقال الضحاك عن ابن عباس : (مالك يوم الدين يقول : لا يملك أحد في ذلك
اليوم معه حكما ، كملكهم في الدنيا . قال : ويوم الدين يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم
القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، إلا من عفا عنه . وكذلك قال غيره

من الصحابة والتابعين والسلف ، وهو ظاهر . وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى تفسير مالك يوم الدين أنه القادر على إقامته ، ثم شرع يضعفه . والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم ، وأن كلا من القائلين بهذا وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ، ولا ينكره ، ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا ، كما قال : (الملك يومئذ الحق للرحمن) [الفرقان : 26] والقول الثاني يشبه قوله : (ويوم يقول كن فيكون ، [الأنعام : 73] والله أعلم . والملك في الحقيقة هو الله عز وجل ؛ قال الله تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : أخرج اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ولا مالك إلا الله ، وفيهما عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وفي القرآن العظيم : (لمن الملك اليوم الله الواحد القهار فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى : (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، وكان وراءهم ملك إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وفي الصحيحين : (مثل الملوك على الأسرة) . والدين الجزاء والحساب ؛ كما قال

تعالى : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، وقال :) أئنا لمدينون أي مجزيون محاسبون ،
وفي الحديث : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أي حاسب نفسه لنفسه ؛ كما
قال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ،
وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم
خافية .